أسلوب النفي في العربية
دقّة ، وتفرّد

دَوّان مُوسى الزبيدي

مقدمة:

تتعدد أساليب العربية وفق نظام الجملة بتعدد دلالات هذه الجملة ،ومن هذه الأساليب ،و الوسائلُ اللفْظيَّةُ التي اسْتَعْمَلَهَا العَربُ للدَّلَالَة عَلَى أَغْراضِهِمُ المُخْتَلفَة أسلوبُ النفي الذي تعددت تعريفاته ،واختلفت الآراء في صيغه واستخداماته ، وفي ما بينه وبين أساليب أخرى من تداخل معنوي، ولعل النفي في العربية متفرد له ما يميزه من سائر أساليب النفي في لغات العالم الحية، لذلك فإن كثيرا من المتخصصين في اللغة والشعراء والمتأدبين يتخبطون في استخدام أدوات النفي فيما وضعت له وفق نظام الجملة العربية وبما يخدم السياق اللغوي، النفي بشقيه الضمني والصريح مشتت في عدد من موضوعات النحو، وغيرها ،ولكي تحيط به لابد من أن تجمعه بعد شتات، وتنظمه بعد فوضى، وتنسقه بغية الانتفاع به ، وتقف على ما يمتاز به لتستعمله بدقة متناهية في الوصل والربط ،وفي السياقات اللغوية..وما هذا الجمع إلا لفائدة تعليمية –تعلمية ترتقي بأساليب لغتنا الجميلة على ألسنة أبنائها والناطقين بها...

تعريفات شاملة:

- النفي في المعجم:

ورد النفي معجمياً بمعانٍ متعددة، ما يصب في سياقنا هو إقصاء .(الشيء، وإخراجه، وتنحيته، وطرده)..

- النفي في الاصطلاح:

هو «الإخبار عن ترك الفعل»، ويعد باباً من أبواب المعنى، يهدف به المتكلم إلى إخراج التركيب اللغوي من حكمه المثبت إلى ضده، وتحويل المعنى الذهني الإيجابي إلى خلافه، فهو أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وفيه نقض، وإنكار، يحمل معنى عقلياً مشتركاً بين جميع العقول، يفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة-الفعلية والاسمية، ولا يكون إلّا بأداة تُشعر بالنفي، يقتضي النفي ركنين أساسيين هما: المنفي، والمنفي عنه، ويدخل معنى النفي في كل لغة بشرية، فمعناه من المعاني البدائية التي يفترض (أن تعرفها كل لغة منذ طفولتها).. والأدوات في الاستعمال العربي من القرائن اللفظية المهمة، تشترك جميعها في الدلالة على معانٍ وظيفية خاصة مثل (النفي، والاستفهام، والتمني، والترجي والشرط)، إلى جانب المعنى الوظيفي العام، ويتمثل الربط بالأداة في أن معناها «ينسحب على كل ما دخل في حيزها من عناصر الجملة، أي: إن كل ما دخل في حيز النفي فهو منفي، واشتراك عناصر الجملة في معنى النفي الحادث بسبب تقدم الأداة، يجعل الأداة سبباً في هذا الاشتراك بمعنى أنها ربطت بين عناصر الجملة بتشريكها في معنى النفي، فأحكمت الصلة بين هذه العناصر، فلم يعد يخرج عن معنى النفي منها شيء، إلا أن يكون ذلك بأداة استثناء، أو استدراك أو .(نحوهما» فالتعليق إذاً، هو الوظيفة العامة التي تقوم بها الأداة، إلا أنها غير قادرة على تحديد معنى الجملة بمفردها، بل «عناصر الجملة تتداخل، وتتشارك دلالتها .» والمعنى يتخصص من خلال تضافر مجموعة من القرائن النحوية السياقية» أما دلالة الأدوات الزمنية- ولاسيما النافية منها- فهي تُرشح الحدث لزمن معين، ولها أثر مهم في تحديد الدلالة الزمنية للأفعال ضمن السياق اللغوي، فاقتران أداة النفي بالفعل يحدد زمنيته، ومما لا يخفى أن الزمن أحد أهم دعامتين في هيكل الفعل إلى جانب الحدث الذي يجري وينبسط فيه...

- النفي في النحو:

- النفي أسلوب لغوي ، لنقض ما يتردد في ذهن المخاطب وإنكاره، ويؤدى بأدوات تحددها مناسبات القول..
- النفي أسلوب من أساليب اللغة العربية ، يراد به نقض فكرة وإنكارها ،وهو ضد الإثبات ويقسم إلى قسمين : أ- النفي الصريح (المحض). ب- النفي الضمني .
- النَّفْيُ هُوَ: إِنْكَارُ ثُبُوتِ حُكْمٍ مَا لشَيءٍ مَا، باسْتِخْدَام أداة مِنْ أَدَوَات النَّفْيِ المؤثرة في الجُملة الاسمية، أو الجملة الفعلية..
- هو أسلوب خبري ننفي به حكماً إيجابياً باستخدام إحدى أدوات النفي .

(نقصد بالحكم الإيجابي : ما هو غير مسبوق بنفي)

في الجملة الفعلية يقع النفي على الفعل الماضي والمضارع أما فعل الأمر فهو أسلوب إنشائي لا يقع عليه النفي .

من هذا التوسع نستشف أن النحاة قد درسوا النفي وأدواته في أبواب متفرقة متداخلة مع أساليب أخرى (نحوية وبلاغية)وركزوا على الأدوات وفق تأثيراتها فيما تدخل عليه فهي إما أن تؤثر في الاسم كنواسخ الجملة الاسمية، أو في الفعل في الجملة الفعلية فتدرس حيث يوجد الفعل الذي تدخل عليه، نحو (لم، ولمّا) في جزم الفعل المضارع، و(لن) في نصبه.

ولقد عاب الأستاذ إبراهيم مصطفى(من دعاة تجديد النحو العربي) هذا المنهج، فقال :إن أدوات النفي ((لو أنها جمعت في باب وقورنت أساليبها، ووزن بينها، وبيّن منها ما ينفي الحال وما ينفي الاستقبال وما ينفي الماضي، وما يخص الفعل، وما يتكرر ؛لأحطنا بأحكام النفي وفقهنا أساليبها، ولَظهر لنا من خصائص العربية ودقتها في الأداء شيء كثير)). نلاحظ أن أدوات النفي ذات شمولية واسعة لو أنها جمعت ، وفيها من دقة الأداء ما يغني المطلع عليها من أبناء العربية وغيرهم من الناطقين بها لو أنها نُسِّقت..

ولو عدنا إلى أقدم كتاب في النحو العربي، وهو كتاب سيبويه واطلعنا على قوله: ((إذا قال: فَعَل فإن نفيه لم يفعل. وإذا قال قد فعل فإن نفيه لمّا يفعل. وإذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما فعلَ. لأنه كأنّه قال: والله لقد فعل فقال: والله ما فعل. وإذا قال هو يفعل، أي هو في حال فعل، فإن نفيه ما يفعله. وإذا قال هو يفعل. ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل. وإذا قال ليفعلنَّ فنفيه لا يفعل، كأنه قال: ((والله ليفعلنّ فقلت والله لا يفعل. وإذا قال سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل))..

لألفيناه قد جمع أدوات النفي كلها في هذا القول ،وهذا عين ما أراده الأستاذ إبراهيم مصطفى.

لكن النحاة الذين خلفوا سيبويه لم يأتوا بما يشابه ما فعله شيخهم بل ضادوه، فهم درسوا أدوات النفي ضمن ما يقتضيه عملها..

ولقد استقطب سيبويه هنا أدوات النفي ، وصنفها بحسب المعاني الزمنية التي تؤديها، فالأداة لا بد من أن تربط الحدث بالزمن ماضيه، وحاضره، ومستقبله في حالي الإثبات والنفي، لأن الصيغ المنعزلة في العربية لا تلبي حاجة المتكلم في التعبير عن الزمن ولا سيما في النفي، لأنه أحوج الصيغة الزمنية إلى الإثبات، إذ يقول ابن الحاجب(ت ٦٤٦ هـ): ((إذا قيّدت نفي الشيء بزمان وجب أن يعم النفي جميع ذلك الزمان، بخلاف الإثبات فإنك إذا قيدت إثبات الشيء بزمان، لم يستغرق الإثبات لذلك الزمان، إذا قلت مثلا (هلك الظالم)، كفى صدق هذا القول وقوع الضرب في جزء من أجزاء الزمن الماضي أما قولك ما هلك فإنه يفيد استغراق نفي الهلاك بجميع أجزاء الزمن الماضي. وذلك لأنّهم أرادوا أن يكون النفي كالإثبات مقيدا بوقوعه، فاكتُفِيَ في الإثبات بوقوعه مطلقا ولو مرة، وقصدوا في النفي الاستغراق إذ استمرار الفصل أصعب وأقل من استمرار الترك)).

لذا أخلصوا أدوات النفي إلى ما ينفي الماضي، والحاضر، والمستقبل، والزمن المطلق.

وهذه الأدوات صنِّفت بحسب استعمال شيخ النحاة إلى :

أولا: الأدوات التي تنفي الحال، وهي (ما، ولا، وليس)

ثانيا : الأدوات التي تنفي الماضي، وهي (لم، ولما)

ثالثا: الأدوات التي تنفي المستقبل، وهي (لن)

وهي موزعة بين الجملتين الفعلية والاسمية بحسبان ما يختص منها بهذه الأداة أو تلك في موضعه المقرر، فأدوات النفي تتشابه في نفي حدوث

الفعل إلا أن لكل واحدة منها خصوصية تتمايز بها عن غيرها، ويتجلى معناها البلاغي بتأثيرها في حدوث الفعل من خلال السياق الجاري مجرى النفي.

ومن خلال السياق الجاري مجرى نفي النفي ،و نفي النفي إثبات..

ويأتي ذلك في أكثر من صورة في اللغة منها : الاستفهام الإنكاري في سياق النفي ، بمعنى أنّه إذا جاء بعد همزة الاستفهام الإنكاري جملة منفيّة أفادت الإثبات ، كما في قوله تعالى : (أليس الله بكافٍ عبدَه) أي الله كافٍ عبده

«أليس الله بأحكم الحاكمين ؟ « أي ألله أحكم الحاكمين

وكما في قول الشاعر :

ألستم خيرَ من ركبَ المَطايا
وأندى العالمين بطونَ راح

ومن صوره في الجمل المنسوخة بالفعل « لا زال « ولا يزال» ولم يزل « ولن يزال « « قلّما يزال»

فالفعل زال يفيد النفي ، ويسبق بأدوات النفي ، فيفيد الإثبات كما في قوله تعالى :

«وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ»

أثبت أنّهم في مرية منه ؛أي في شك ... ومن صوره ، تكرار ما النافية ، كقولك : « ما ما زيد قائم» تفيد أنّ زيدا قائم ومن صوره الجمل الشرطيّة بعد أداتي الشرط (إن ولو) فهما تنفيان شرطهما وجزاءهما فإن كانتا مثبتتين وجب انتفاؤهما وإن كانتا منفيتين، وجب ثبوتهما لأن نفي النفي إثبات كقولك :

لو لم تأت لم أكرمك

«إن لم تدرس فلن تنجح « والمعنى «إن تدرس تنجح» (إثبات)

التعريفات أكدت على أن فعل النفي هو في الحقيقة فعل إنكار، والإنكار يمتد ما بين الإنكار المؤقت والإنكار المؤبد الذي لا يُظهر حدود انتهاء صرف النهي إلى الإيجاب وعدم إمكانية تقترب إلى الاستحالة؛ بخلاف الإنكار المؤقت الذي تنتهي حدوده عند نضوج الظرف الذي كان يؤدي كصارف (مُحوِّل للدلالة) ،وقرينة.

دقة استعمالات أدوات النفي وتفرّدها :

أدوات النفي في كل لغات العالم، لكن في العربية أكثرعددا ،وأشمل معنى ، وأَشْهَرُ أَدَوات النَّفْي عَشَرٌ؛ هي: «لَا»، و«مَا»، و«لَم»، و«لَمَّا»، و«لَنْ»، و«ليْسَ»، و«لَاتَ»، و«إِنْ»، و«غَيْرُ»، و«لَا النَّافِيَةُ للجِنْسِ» ،ويسمى النفي الذي يتسم بها بالنفي الصريح أو الظاهر، أو المحض..

وأكثرها حروف ، ماعدا- (ليس) فعل ، و(غير) اسم .ولكل منها استعماله:

١- لَا: وهُوَ حَرْفُ نَفْي يَدْخُلُ عَلى الأَسْماء، والأَفْعَال(١)، دُونَ أَنْ يُؤَثِّرَ في الإعْراب:

ومِثَالُهُ قَوْلُ الله تَعَالى:» إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ البقرة: ٦٨، وَقَوْلُهُ تَعَالى:» لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً «الغاشية: ١١، وقولُهُ:» يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا « ،وَكَثِيْرًا مَا تَأْتِي «لَا» النَّافِيةٌ بيْنَ حُرُوفِ المَعَانِي والكَلِمَات بَعْدَهَا، كَما في نَحْو قَوْله تَعالى:» وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا» المائدة: ٨، وقَوْله: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ الحديد: ٢٣، وقوْلِنَا: «أَحْبَبْتُهُ بَلَا سَبَب».

•وَقَدْ تَأْتِي «لَا» النَّافِيَةُ عَاطِفَةً...

٢- مَا: وهِيَ حَرْفُ نَفْي يَدْخُلُ عَلى الفعلَيْن المَاضي والمُضَارِع، دُونَ أَنْ يُؤَثِّرَ في الإعْراب:

ومِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ «البينة» ، وقَدْ تَأْتِي «مَا» النَّافِيَةُ بِمَعْنى «لَيْسَ» وتعْمَلُ عَمَلَها، بِشُروط...

٣- لَم : وهُو حَرْفُ نَفْي وَجَزْم وقَلْب؛ يَدْخُلُ عَلَى الفعْل المُضَارِعِ فَيَنْفي دَلَالَتَهُ وَيَجْزِمُهُ وَيَقْلِبُ زَمَنَهُ إلى المَاضي..

٤- لَمَّا: وهُو حَرْفُ نَفْي وَجَزْم وقَلْب، يُفيدُ امْتِدَادَ النَّفْي إِلَى زَمَنِ التَّكَلُّم، مَعَ تَوَقُّعِ حُصُولِ الحُكْم المَنْفِيِّ في المُسْتَقْبَل:

ومِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ «البقرة»...

•وَهُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنْ «لَمَّا» وَهِيَ «لَمَّا» الحِيْنِيَّةُ، وَهِي أَداةُ شَرْط غيْرُ جازِمَة مَبْنِيةٌ عَلَى السُّكُون في مَحلِّ نَصْبٍ ظَرْف زَمَان بِمَعْنَى «حِيْنَ»، ويكُونُ فِعْلُ الشَّرْط وجوابُهُ - بَعْدَها - ماضيين، كَما في نَحْو قَوْله تَعالى: «وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا «البقرة: ٢٥٠، أَيْ: حِيْنَ بَرَزوا لجَالُوتَ وَجُنُوده ...

٥- لَنْ: وَهُوَ حَرْفُ نَفْي وَنَصْب، يَدْخُلُ

عَلَى الفعْل المُضَارِع فَيَنْصِبُهُ وَيَنْفِي وُقُوعَهَ فِي المُسْتَقْبَل..

٦- لَيْسَ: وَهُو فِعْلٌ نَفْي نَاقصٌ جَامدٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ، يَدْخُلُ عَلَى الجُمْلَة الاسْمِيَّة..

٧-غير: وهُوَ اسْمُ نَفْي يَدْخُلُ عَلَى الأَسْمَاء، وَيُعْرَبُ بحَسْبَ مَوْقعه فِي الجُمْلَة، ويَعْرَبُ مَا بَعْدَهُ مُضَافًا إِلَيْه:

ومِثَالُهُ قَوْلُهُ سبحانه:: وَمَنْ يَبْتَغ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ منْهُ» آل عمران: ٨٥، ف«غَيْرَ»: مَفْعُولٌ به منْصُوبٌ وعَلَامَةُ نَصْبه الفَتْحَةُ الظَّاهرَةُ، وهُو مُضَافٌ، و«الْإِسْلَامِ»: مُضَافٌ إِلَيْه مجْرُورٌ، وعَلَامَةُ جَرِّه الكَسْرَةُ.

٨- لَاتَ:وَهُو حَرْفُ نَفْي يَعْمَلُ عَمَلَ «لَيْسَ» بشُرُوط..مثاله»:(لات ساعة مندم)

٩-إِنْ: وَهُوَ حَرْفُ نَفْي يَدْخُلُ عَلَى الجُمْلَتَيْن الاسْمِيَّة والفعْلِيَّة، كمَا فِي نَحْو قَوْله تَعَالَى: «إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» الشورى: ٤٨، وقَوْل النِّسْوَة عَنْ يُوسُفَ : «إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ «

١٠- لَا النَّافِيَةُ للْجنس:، وقَدْ تناولوها فِي «نَوَاسخ المُبْتَدَأ والخَبَر»

الأدوات العشر السابقة تستعمل في مواضعها بدقة ،ومنها ما تؤثر في الجملة من قريب ،أو من بعيد بحسب تنوّع صيغ النفي.

تنوّع أسلوب النفي، وتقاطعه مع أساليب أخرى:

أما النفي بغير الأدوات، فيسمى النفي الضمني غير المحض، أو غير الصريح ، وهو ضرب من ضروب النفي ، يكون بغير (أدوات النفي) ويحدث بأحد الأساليب الآتية:

١- أسلوب الاستفهام : هو أسلوب لا يراد به طلب الفهم وإنما يراد النفي ، وقد تناولوه في موضوع الاستفهام المجازي ، والأمثلة: كثيرة منها :

- قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ ﴾ (١٣٥) سورة آل عمران . والمعنى : لا يغفر.

- وقوله تعالى : ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦٠) سورة الرحمن . والمعنى :ما جزاء.

- وقول الشاعر :

هل غير حبك بث الداء في كبدي

وهل دواء سوى وصل وتأميل

فمن خلال الأمثلة السابقة نجد أنه إذا ورد في سياق الجملة الاستفهامية الألفاظ :

(غير – سوى – إلاّ) فهو يفيد النفي الضمني .

٢- أسلوب الشرط المتضمن معنى النفي ، ويكون بالأدوات : (لو – لولا – لمّا) وهي أدوات شرط غير جازمة .

مثال : لو زارني محمد لأكرمته . لم تحصل الزيارة لذلك لم يحصل الإكرام.

وقول الشاعر :

لولا الحياء لهاجني استحياءُ

ولزرت قبرك والحبيب يزار

٣-أسلوب التمني : ويتضمن هذا الأسلوب معنى النفي لأن التمني هو طلب شيء لا يمكن حصوله .

مثال : قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ (٧٩) سورة القصص .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (٤٠) سورة النبأ .

وقول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيبُ

٤-أسلوب الاستثناء من النفي والخلاف فيه اتفقوا على أن الاستثناء من الإثبات نفي،مثل: حضروا الاجتماع إلا سعيدا، وأمّا الاستثناء من النفي فذهب الجمهور إلى أنه إثبات، وذهبت بعض المذاهب إلى أن الاستثناء لا يكون إثباتا، وجعلوا بين الحكم بالإثبات والحكم بالنفي واسطة وهي عدم الحكم... ما سافر الركاب إلا حقائبهم = سافر الركاب حقائبهم (لم يتم المعنى فالجملة على الاستثناء)، ما سافر إلا سعيد ، إثبات السفر لسعيد...وهذا يدخل في الحصر ، كنوع من الاستثناء ...

٥- ومن جعلوه من السلب بمنزلة الهمزة التي تضاف على بنية الفعل ، ليتحول من الإيجاب إلى السلب أو النفي..

وهذه الهمزة المعروفة بهمزة السلب ،وهمزة النفي، وهمزة الإزالة من عجائب اللغة العربية ، ذلك أنه كان في لغة العرب أدوات نفي ، نحو (ما) و(لا) وغيرهما ، وهي واضحة في الدلالة على النفي ، لكنّ العرب جعلت أسلوبا آخر من أساليب النفي ،

وهو إدخال الهمزة على الفعل ، فتسلبُ الهمزةُ المعنى الذي كان عليه الفعل قبل دخول هذه الهمزة ،يقول الشيخُ العلامة الشنقيطي في« دفع إيهام الاضطراب» ص ٥٦ :

((إن العرب كثيرا ما تجعل الهمزة أداة لسلب الفعل كقولهم شكا إلي فلان فأشكيته أي أزلت شكايته وقولهم عقل البعير فأعقلته ،أي أزلت عقاله)) .

ولهذا أمثلة كثيرة جدا ، منها :

- قسط وأقسط ، قسط : ظلم ، وعندما دخلت عليه همزة السلب ، سلبته معنى الظلم ، فصار أقسط : بمعنى عدل .
- نشطتُ الشيء أي عقدته ، وعندما دخلت عليه همزة السلب ، سلبته معنى العقد ، فصار أنشطتُه : أي حللته .
- أعجمت الكتاب إذا أزلت عُجمته .
- خفرت الشيء إذا حميته وحرسته ، وأخفرت العهد إذا نقضته .

معنى السلب في هذا الموضع الإزالة، أو النفي أي بمعنى إزالة معنى الفعل إلى ضده..

بمعنى أنها تزيل عن الفعل ما اشتق منه ،ومن ذلك المفعول نحو شكوت شكاية ذكر في لسان العرب أنها بمعنى أخبرت عنه بسوء فعله بك .

وقال: و أشكيته إذا أعتبته من شكواه ونزعت عن شكايته وأزلته عما يشكوه وهو من الأضداد .

قال ابن الحاجب في الشافية (٨٣/١) عندما ذكر معاني أفعل قال: و للسلب نحو أشكيته.

قال الرضي في الشرح(٩١/١) : أي يجئ لسلبك عن أفعل ما اشتق منه نحو أشكيته أزلت شكواه.

وقال ابن مالك في التسهيل (٣٠٦/٣) عندما ذكر معاني أفعل: أو للسلب

قال في شرحها: و للسلب كأشكيت الرجل إذا أزلت عنه شكواه وأعتبته إذا أرضيته وأزلت عنه سبب عتبه و أعجمت الكتاب إذا سلبت عنه الإبهام بنقط ما ينقط و إهمال ما يهمل.

وهذا الجانب يتقاطع مع علم الصرف، وهذا ما تتفرد به العربية عن غيرها من لغات العالم

والسلب بمعنى النفي ضد الإيجاب ورد كمصطلح عند الحكماء والمنطقيين؛ فقد ذكر (التهانوي) أن السلب عند المنطقيين والحكماء يطلق على مقابل الإيجاب، قالوا: الإيجاب والسلب قد يراد بهما الثبوت واللاثبوت، فثبوت الشيء إيجاب وانتفاؤه عنه سلب. وجاء في المعجم الوسيط : سلب القضية (في علم المنطق) نفي فيها النسبة بإدخال أداة السلب .

والسلب بمعنى النفي ضد الإيجاب ورد عند علماء البلاغة كمصطلح من مصطلحات علم البديع ، فقد ذكر أبو البقاء الكفوي أن السلب والإيجاب في البديع هو أن تبنى الكلام على نفي شيء من جهة وإثباته من جهة أخرى، والأمر به من جهة والنهي عنه من جهة أخرى، وما أشبه ذلك كقوله تعالى: «فلا تخشوا الناس ، ويجئ السلب في التركيب من خلال أدوات النفي قبل أدوات الشرط ؛ لأنه لا خلاف بين العلماء على وظائف أدوات النفي الدلالية، في حين أن ثمة خلافا بينهم على الوظائف الدلالية لأدوات الشرط، أما مجيء السلب من خلال الاستفهام الإنكاري في نهاية المظاهر ؛فلأنه مرتبط بسياق النص وليس حرا مطلقا..

وإذا كانت أفعال الرغبة مرتبطة بالسياق في إفادتها دلالة السلب للجملة التابعة؛ فإن أفعال الرفض منها ما يدل على السلب بمادته المعجمية كالفعل (أبى) ، ومنها ما هو مرتبط بالسياق في إفادته دلالة السلب للجملة التابعة كالفعل (أمسك)؛ فحينما نقول: (أمسك محمد القلم ليكتب) فدلالته الإيجاب، وحينما نقول: (أمسك محمد لسانه أن يتكلم) فالسياق يجعل الفعل يفيد السلب للجملة التابعة، ومنها ما يحمل أكثر من دلالة في مادته المعجمية إحداها السلب كالفعل (قلّ) ، وقد أشار النحويون إلى ذلك؛ حيث ذكروا أنه يدل على التقليل ويدل على النفي، وإذا لحقته (ما) الزائدة خلصت دلالته للنفي، وصار بمعنى (ما) أو (لا) النافيتين، وقال ابن هشام : (قلّ) تستعمل للنفي قبل الكفّ بـ(ما)، يقال: قلّ أحد يعرف هذا إلا زيد؛ ولهذا استعمل (أحد) وصحّ إبدال المستثنى بدلا من (أحد) أو من ضميره، ومن ذلك قول الشاعر:

قلّما يبقى على هذا القلقْ صخرةٌ صمّاءُ فضلا عن رمَقْ

خصائص النفي الضمني:

صيغ النفي الضمني في اللغة العربية، وهي من خلال كثرتها وتنوعها

،تدل على ثراء اللغة العربية ودقتها في التعبير عن مكنونات الأنفس بشيء يشبه السحر، ولا عجب في ذلك فهي لغة القرآن ،ومن أهم خصائص النفي الضمني أنه يؤدي معاني أخرى كالمقاربة أو التوبيخ ،أو التقريع أو الإنكار أو الاستبعاد أو التنزيه أو التعظيم أو الردع أو الزجر..أو مايسمى بالتراكب الدلالي..كما أن له مقاصد في النص الأدبي ،و دور بلاغي فيه ،فما عدل عن النفي الصريح إلى النفي الضمني إلا لِنكَت بلاغية اقتضاها سياق الموقف،

إذ إن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال كما هو التعريف المرضي عند أهل الشأن، وقد تؤدي بعض صيغ النفي الضمني وظيفة جمالية تضفيها الأساليب المختلفة والمتعددة للنفي الضمني على الكلام يحتاج إلى ذوق وإحساس فني وشفافية لكي تدرك مراميه نظرا للتراكب الدلالي الذي تتميز به، ولبنيته الظاهرة المحملة بالغرض البلاغي أو المعنى الأساسي المرافق الذي يحجب البنية الباطنة.

مقاصد النفي في النص الأدبي:

لهذا كان من الضروري من أجل التوازن بين النفي الصريح والنفي الضمني ولادة أدوات توظف لخدمة هذا المفهوم سواء أكان في زمن الفعل الماضي أم المضارع، أدوات يستخدمها المتكلم لتوصيل مراده ومقاصده في ذلك النص الأدبي، وهذا يتجلى من خلال التطبيقات البلاغية على أربع أدوات هي : لا – لم – لن – لمّا

وكما هو ظاهر للعيَان فإن مدار تركيبها على أربعة حروف هي: ا – ل – ن – م، كما أنه يظهر–أيضا– أن الحرف المشترك فيها هو اللام بينما الحروف الثلاثة الأخرى هي الداخلة على حرف اللام.

وكون كل حرف في لغة العرب يختص بمعنى في ذاته–عند الاستقراء– فإن دخول الحروف على بعضها يدخل في حيز زيادة المعنى ، ويتقرر بذلك أن كل زيادة في المبنى بالضرورة هي زيادة في المعنى بحسب القاعدة المشهورة، وعليه ندرك مدى تقلب دلالة اللام عند اقتران الحروف الأخرى بها.

ومن الملاحظ –في ذلك– أن تأثير دخول الحروف يظهر في تركيب هجين يؤدي وظيفة جديدة لم يكن يؤديها وحده كما سيأتي لاحقاً، فالحروف إذا رُكِّبت تغيّر حكمها بعد التركيب، عمّا كانت عليه قبل التركيب؛ وهذا التأثير من مكنوناته تلك الجمالية البلاغية التي يبحث عنها النص باستهدافه للفكرة المقصودة دون عناء تحشيد جمل وألفاظ يمكن اختصارها بالوظيفة الناشئة الجديدة عن تركيب الحروف فيما لو استعملناها بالمفهوم البلاغي الكامن بها.

واللام : من خصائصه : الإلصاق ومن مفهومه يشتق الجمع والضم، وأي زيادة على شكله تدل على زيادة في معناه – كما في التفصيل الآتي: وهذا من البديهيات وإلا فلا لزوم للزيادة إذا لم تغير المعنى، أو أن الزيادة لا معنى لها، ويجدر الإشارة هنا إلى أن بعض النحاة –رحمهم الله– نفى أن تكون هذه الأدوات مركبة، بل هي بسيطة وتحمل الدلالة كما قررته لغة العرب ولهم مسوغاتهم المعتبرة في ذلك. إلا إن ذهني يميل إلى التركيب في تذوق النص الأدبي ،والاستمتاع البلاغي بمعرفة اتساع معنى النفي من خلال تحليل بعض أدواته المحضة:

لا : امتداد زمن نفي حدوث الفعل، وطول النفي ودوامه.

قال بعض النحويين : يمتدُّ بها الصوت ما لم يقطعه تضييق النفس، فناسب امتداد لفظها بامتداد معناها، ولاقتران الألف باللام فإنه يحول بين تأدية اللام لوظيفتها في الإلصاق والضم والجمع كصورة من صور خصيصة الإلصاق التي تمتاز بها اللام كما قلنا. •

تشير الأداة إلى عدم حصول الإدراك أبدا؛ قال ابن القيم في (بدائع الفوائد): فإنه لا يدرك أبدا وإن رآه المؤمنون فأبصارهم لا تدركه، تعالى عن أن يحيط به مخلوق...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا﴾

تشير أداة «لا» إلى النفي المؤبد؛ أي: لعدم انتهاء حرصهما أبدا..

لن : نفي مؤقت لأقرب أزمنة الاستقبال إلى زمن المتكلم.

والقرينة التي تصرف دلالة النفي من الدوام إلى ترقب حصول الفعل هو حرف النون باقترانه مع اللام، حيث أرجع الخليل–رحمه الله– التركيب

إلى أصله بأن ه مركب من (لا) النافية و(أن) الناصبة للفعل ، وهذا الاقتران قد تولّد منه تركيبا هجينا يعكس المفهوم الكامن في كل أداة على حدة، ف«لا» كما أسلفنا تحمل دلالة التأبيد والدوام لنفي الفعل، بخلاف أداة «أن» التي تختص بدلالة تحقيق وتأكيد الفعل، لذلك فإن المركب الهجين «لن» يحمل دلالة جديدة ما بين التحقق والاستحالة، ويؤدي وظيفة أخرى تساعد النص على استهداف القصد باختصار، وهذه الدلالة:

توقف امتداد ودوام النفي حتى زمن المتكلم

تحيل حدوث الفعل من حالة الاستحالة الى حالة إمكانية الحدوث

ترقب في حدوث الفعل بزوال الصارف، والقرينة من خلال السياق

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾

تشير الأداة «لَن»إلى نفي حدوث الرؤية ، مع وجود إمكانية للرؤية ، فقرينة حدوث الفعل هي استعمال «لن» كأداة نفي ما يجعل هذا النص القرآني الكريم يكذب من نفى الرؤية مطلقا، بمعنى إن القرآن أدخل على نص الآية أداة «لن» ليستهدف فكرة الرؤية ويصرف الذهن إلى إمكانية حدوثها بخلاف لو استعمل أداة «لا» التي تعني -كما أسلفنا- دوام نفي حدوث الفعل، ويؤكد هذا الفهم لنص الآية الكريمة ما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أَشْخَصَ أبصاركم عني ؟ قالوا: نَظرْنا إلى القمر ، قال : فكيف بكم إذا رأيتم الله جَهْرَةً ؟!). أخرى:﴿ إنكم سترون ربكم عيانا﴾أي: بالعين

قال رسول الله صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»

تشير أداة «لن» إلى النفي المؤقت؛ أي: إن النفي ينتهي بزوال القرينة وهي التمسك بكتاب الله وسنة النبي

امكانية حدوث الفعل عند انتفاء الصارف والقرينة، والمعنى المستهدف المقصود في هذا النص-حديث النبي- أنه فيمن يتمسك بالكتاب والسنة فإن ذلك صارف للضلالة التي تزول بالتمسك بالكتاب والسنة.

لم: امتداد نفي حدوث الفعل في الزمن الماضي

تتخصص «لم» بنفي حدوث للفعل المضارع مع قلبه الى الزمن الماضي؛ لذلك توغل هذه الأداة بامتداد نفي حدوث الفعل..تدخل على مضارع اللفظ، فتصرف معناه إلى الماضي..

ليس شرطا أن يمتد النفي فيها الى زمن المتكلم وانما يفيها اشارة الى التوغل في الزمن الماضي مه تمدده لزمن المتكلم او انقطاعه قبل ذلك بخلاف الأداة «لما» فهي تفيد التصال حتى زمن المتكلم

قال تعالى:«سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ « تأمل أداة «لم» وتأثيرها على الفعل ينزل، فهي:قلبت زمن الفعل الى الماضي

امتدت بنفيه الى ماض بعيد، بقرينة ان المتكلم هو الله -سبحانه وتعالى، ليس كمثله شيء- لا يعقل ولا يستساغ عقلا ان يطلب من المخلوقات ان يشركوا معه احدا وتم تقوية المعنى بتاكيد جزاء من يفعل ذلك النار وذمها كمثوى للظالمين.

«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا «

ينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يعلم من قبل عن الكتاب والحكمة، وبين في مواضع أخر أنه علمه ذلك عن طريق هذا القرآن العظيم الذي أنزله عليه كقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾

وهذا تكذيب لمن جنح في قوله واعتقاده -عن عقيدة أهل السنة والجماعة- بإثبات خصائص للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في علمه الغيب ماضويا او مستقبليا وان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعدو عن كونه بشر مثلنا يوحى اليه من ربه.

لمّا : نفي أقرب الأزمنة الماضية إلى زمن المتكلم،

مركّبة من (لم) الجازمة و(ما) الزائدة، وبذلك زادت المعنى عما كانت أداة «لم» تؤديه

تدلّ على المنفي بها متصل الانتفاء إلى وقت المتكلم

والنفي ب ﴿ لمّا ﴾ قد يُفهم منه ترقب حصول المنفي بعد ذلك.

قال ابن يعيش الفرق بين نفي الاثنين فيقول: («لما « نفيا ل قولهم: قد فعل، وذلك أنّك تقول «قام « فيصلح ذلك لجميع ما تقدمك من الأزمنة، ونفيه « لم يقم «، فإذا قلت « قد قام « فيكون ذلك إثباتا لقيامه في أقرب الأزمنة الماضية إلى زمن الوجود، ولذلك صلُح أن يكون حالا ... ونفيُ ذلك «لمّا يقم « زدت على النافي وهو «لم» «ما» كما زدت في الواجب حرفا وهو «قد» لأنّهما للحال ولمّا ناظرتْ (لما) (قد) أُعطيت ما أعطيته (قد) من جواز حذف الفعل بعدها إذا دلّ عليه دليل.•

قوله تعالى:» أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ»•

دلالة أداة « لما « توميء بالتهديد وذلك في ترقبهم العذاب، فهي بمنزلة قرينة يفهم منها ترقب حصول المنفي وهو العذاب، والتهديد حاصل من دلالتها على المنفي(العذاب) بها متصل الانتفاء حتى زمن نزول الآية الكريمة..

أدوات النفي واستعمالاتها في الربط ،والوصل :

ونقصد بذلك إتقان استخدام أدوات الربط والوصل التي تقوم بمهمة أساسية في الكتابة، إذ هي تربط بين عناصر الجمل/ أو الجملة الواحدة، تحفل العربية بعدد من أدوات النفي، والنفي في اللغة هو ضد الإثبات، وللغة العربية أسلوبان في النفي؛ أي نفي الجملة: أ- إما باستخدام أدوات النفي في الجمل ب- وإما باستخدام ألفاظ لها معنى النفي.

وما يهمّنا هو صياغة أدوات النفي مع الألفاظ الرابطة:

- لم+ فعل مضارع مجزوم... (فحسب) ،بل...(أيضاً).
- لم+ فعل مضارع مجزوم..(فقط)، بل... (كذلك).
- لا + فعل مضارع مرفوع... فحسب(فقط)، بل ..أيضاً.
- لن + فعل مضارع منصوب.. فحسب(فقط)، بل ..كذلك.
- ليس + جملة اسمية ... فحسب (فقط)، بل ..كذلك.

نعرض هنا لتكرار النفي في جملتين مرتبطتين. أدواته ثلاثة أنواع:

١-لا وتكرارها بلا، للدلالة على الزمن الحاضر. وتصاغ منها الجملة كالتالي:

أ- لا+ فعل مضارع مرفوع...ولا+ فعل مضارع مرفوع للدلالة على الزمن الحاضر

ب-لا+ فعل مضارع مرفوع... ولا + اسم.

ج- لا+ اسم ... ولا + اسم.

د-لا+ فعل ماض...ولا+ فعل ماض للدلالة على الماضي (غير شائع الاستعمال).

مثال:

لم يكن المؤلف دقيقاً لا في حديثه عن الشريعة الإسلامية ولا في حديثه عن بعض الطقوس المسيحية.

٢- لم... ولم: للدلالة على الزمن الماضي. وتصاغ الجملة منها كالتالي:

أ- لم + فعل مضارع مجزوم... ولم + فعل مضارع مجزوم، للدلالة على الزمن الماضي.

ب- لم + فعل مضارع مجزوم...ولا+ اسم.

أمثلة:

- لقد أضربوا عن الطعام فلم يأكلوا ولم يشربوا.
- لم ينفق درهماً ولا ديناراً.

٣- لن... ولن: للدلالة على الزمن المستقبل. وتصاغ الجملة منها كالتالي:

أ-لن + فعل مضارع منصوب... ولن + فعل مضارع منصوب، للدلالة على الزمن المستقبل.

ب-لن + فعل مضارع منصوب... ولا+ اسم.

أمثلة :

لن يقابلَ الوزير الصحفيين ولن يجيبَ عن أسئلتهم.

لن أهمل الدراسة ولا الواجبات.

في لغات كثيرة أدوات النفي غير مؤثرة ،لكن في العربية أدوات النفي مؤثرة، ومعرفة تأثيرها ضرورة في فهم معاني التراكيب ؛إذ يقوم أسلوب النفي بدورمهم في الأساليب التركيبية، إذ يستخدمه الناطقون بغير العربية بصورة شائعة في كتابتهم ، ومحادثتهم فيقعون في أخطاء كثيرة، لأسباب متنوعة ، ومنها تأثرهم بلغتهم الأم ،وعدم معرفتهم أوجه الاختلاف بين أنماط أسلوب النفي في اللغتين العربية

،ولغتهم الأم

وعلى سبيل المثال يواجه متعلمو العربية غير الناطقين بها صعوبة في مراعاة التأثير الإعرابي لحروف النفي. إذ إ نّ معظم الحروف في العربية تؤّثر في إعراب كلمة جاءت بعدها. فكلمة «ليس» مثلا ترفع الاسم وتنصب الخبر، و«لن» تنصب المضارع، و«لم» تجزمه، وإلخ. فالمتعلم لم يتعود على هذه العادات اللغوية الجديدة، فيقول مثلا : « ليس سعيدُ نائمٌ»

«بالضمة في «نائم « بدلا من : « ليس سعيدٌ نائماً « بالنصب لأنّ التركيب في الأصل «بالضمة « سعيدٌ نائمٌ «.

كذلك يواجهون صعوبة في اختيار حروف النفي المناسبة للدلالة والزمان. فقد يقول

أحدهم مثلا:» لا يأتي الأستاذ منذ الأمس» فالصواب «لم يأت الأستاذ منذ الأمس» لأنّ

الغياب ما زال مستمرا. من نماذج الأخطاء الشائعة التي ارتكبها المتعلمون الأجانب نتيجة قّلة

انتباههم ، وقلة معرفتهم أوجه التشابه والاختلاف بين قواعد العربية وقواعد لغتهم الأم. ،

لذلك لابد من عرض الاختلاف في نظام النفي بين اللغة العربية ،واللغات الأخرى ، لنجد أن النفي فيها يتحدد بأدوات قليلة غير مؤثرة ،ففي الفارسية علامة نفي الأفعال (الفارسية) هي : النون المفتوحة (نَ) ،أو(مَ)وتلحق بأول الفعل .

مثال :

رِسيدَ م (وصلتُ) -----> عند النفي ------> نَرِسيدَم (ماضي .مطلق)

كذلك التركية فصيغة النفي فيها يتحدد بإضافة (ma - me) بين فعل الأمر ،أو أصل الفعل وبين لاحقة الماضي .

تتصل أداة (me) بالفعل الذي مقاطعه خفيفة مثل :-

للمتكلم – عرفتُ (Bildin) .... لم أعرف (Bilmedin)

. وتتصل أداة (ma) للفعل الذي مقاطعه ثقيلة مثل :-

للمتكلم – كتبتُ (Yazdım) ... لم أكتبْ (yazmadım) .

أما في الإنكليزية فأدوات النفي هي:

never ، none ، no ، neither ، nor ،not

ولكل أداة استعمالاتها، والقاعدة الأساسية للصياغة بصيغة النفي ، هي استعمال أداة النفي أحياناً بوضعها ملحقة بالفعل المساعد الموجود في الجملة . وأقول الفعل المساعد وأؤكد عليه ،إذ بالعربية لا توجد أفعال مساعدة،وليس من صيغها ؛فالعربية متفردة بأساليب كثيرة ، منها النفي الذي يعد مميزا بين الأساليب إذ يتداخل معها ويقاسمها الوظيفة النحوية والبلاغية؛لذلك لابد من إمعان النظرفي هذا الأسلوب بغية إطلاق الطاقات التعبيرية للغة العربية في المواقف التداولية المختلفة من أجل تحقيق الغاية الأساسية للغة

االمتمثلة في التواصل والتفاهم والإفصاح عن مكنونات النفس والفكر

و ضرورة معرفة صيغ النفي الصريح والضمني مع التركيز على وظيفة كل أداة من أدوات النفي واستخدامها استخداما صحيحا ،لأن النفي نظام من أنظمة اللغة موجودة لبناته ،ولكنها مبعثرة في تضاعيف كتب النحو واللغة، و البلاغة بل وأصول الفقه وعلوم

القرآن، ولا يكاد يجمعها أحد إلا بصبر وعمل دؤوب ، وغايته تسهيل دراسته على المتعلمين ...

فكان لابد من هذه الدراسة الشاملة التي لا تنحصر في الفروق الوظيفية بل تعكف على جمع

ما تفرق من درس النفي في الكتب ،وإعادة ترتيبه وتنسيقه ليصبح موضوعا متكاملا يصلح دليلا

على جدوى الدراسة التي توجه عنايتها إلى المعنى، والوظيفة ولكنها في الوقت ذاته لاتهمل الشكل، بل تجعله أحد روافدها.

المراجع:

لسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي

عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز

سيبويه ،الكتاب

تمّام حسان ، اللغة العربية مبناها ومعناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢

مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي ، بيروت

لبنان ، ط ٢
فخر الدين قباوة ، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة ١٩٧٥
إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته . مطبعة العاني بغداد . ١٩٦٦
إبراهيم مصطفى، إحياء النحو . دار التأليف والترجمة والنشر ط ٢
أحمد سليمان ياقوت، النواسخ الفعلية والحرفية دراسة تحليلية مقارنة. دار المعارف . ١٩٨٤
أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن الكريم . دار المعارف بمصر .ط ٢
إسماعيل أحمد عمايرة، وعبد الحميد مصطفى السيد، معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة،١٩٩٨ ط٤ ....
عبده الراجحي : النحو العربي والدرس الحديث ، بحث في المنهج ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٧٩ ....